

الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علي الزواوي
صورة من الحراك الفكري بين حاضرتي بجاية والقلعة.

~~~~~ أة. حسية عمروش \*

مقدمة: كانت بجاية مركز إشعاع ثقافي بالمغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، وجسرا للتواصل الحضاري مع مختلف الحواضر الإسلامية الأخرى كحاضرة قلعة بني حماد. ولا غرو فإن الحركة العلمية بين هاتين الحاضرتين كانت نشطة جدا، وذلك من خلال انتقال علماء وفقهاء وقضاة وطلاب العلم والمعرفة بينهما بكل حرية؛ أدوا دورا مهما ورائدا في إثراء مظاهر الحضارة في كليهما، وقدموا مجهودات متنوعة في مختلف العلوم الدينية والأدبية؛ وذلك من خلال تصنيف العديد من المؤلفات ذات القيمة العلمية الكبيرة أثروا بها خزانات ومكتبات المنطقة؛ بالإضافة إلى حلقات الدرس التي كانوا يقيمونها في مختلف المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة بها.

وتعطي لنا كتب التراجم على نحو "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" للغبريني؛ و"تعريف الخلف لرجال السلف" للحفناوي، و"الديباج المذهب" لابن فرحون و"شجرة النور الزكية" لابن مخلوف أسماء لمجموعة من العلماء والفقهاء الذين عاصروا الشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي، والذين ساهموا في تأطير الحياة الثقافية والفكرية ببجاية؛ فأضحت مركزا ومعلما ثقافيا، "وشكلت بذلك نواة حضارية ورافدا قويا بل ومرجعية دينية وأدبية لكثير من طلبة العلم الذين قدموا من مختلف الحواضر المغربية الأخرى"<sup>1</sup>.

وسنحاول في هذه الورقة تسليط الضوء على شخصية أبي زكرياء يحيى الزواوي من خلال رصد مختلف أطوار حياته وما كان له من أثر في مجتمعه؛ بالإضافة إلى التعريف بالشخصيات العلمية الأخرى التي انتقلت من القلعة إلى بجاية واستقرت بها فكان لها الفضل في رسم معالم المشهد الثقافي والفكري في هذه المدينة.

\* أستاذة مساعدة في التاريخ الوسيط - قسم التاريخ - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة محمد بوضياف - المسيلة.

أولاً: اسمه ونسبه:

1- اسمه: هو أبو زكرياء يحيى بن علي الزواوي<sup>2</sup> ويقال الحسنائي<sup>3</sup>، يكنى بأبي زكرياء نسبة إلى ابنه البكر زكرياء بن يحيى بن علي الزواوي.

2- نسبه: الزواوي نسبة إلى قبيلة زواوة البربرية، والحسنائي نسبة إلى بني حسن من أقطار بجاية. ثانياً: مولده ونشأته:

1- مولده: ولد الشيخ أبي زكرياء الزواوي في بني عيسى<sup>4</sup> لكن المصادر التاريخية التي عنيت بترجمته لم تصرح بسنة ولادته، وإنما اكتفت بذكر سنة وفاته فقط دون الإشارة إلى كم كان عمره عندما توفي، لذلك يبقى تاريخ ولادته مجهولاً بالنسبة لنا.

2- نشأته وتكوينه العلمي: من خلال قراءة متأنية لمجموعة من النصوص التراجمية التي تناولت شخصية الزواوي نلاحظ أن أغلبها إتفق على أنه نشأ بمدينة بجاية ثم انتقل إلى قلعة بني حماد وهناك جلس إلى فقيهاها ابن الخراط<sup>5</sup> الذي كان أحد الفقهاء البارزين عصره؛ لكن يبدو أن الشيخ الزواوي لم يكتفي بما حصل عليه من العلم فاختر وجهه أخرى وهي بلاد المشرق مكث فيها رداً من الزمن رغبة في الاستزادة من العلم، وهذا ما أثبتته كتاب التراجم بأنه لقي العديد من "الفضلاء والأعيان والمشائخ وأهل طريق الحق"<sup>6</sup> جلس إليهم وأخذ عنهم مختلف العلوم (علوم الدين).

وبعد عودته من المشرق اختار الزواوي مدينة بجاية مكاناً لاستقراره ونشر العلم فانتصب للتدريس بها فدرس مختلف العلوم الدينية<sup>7</sup> وقد تخرج العديد من طلبة العلم على يديه.

ثالثاً: شيوخه: كان معظم الشيوخ الذين درس عليهم الشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي من المشرق، وذلك أثناء فترة إقامته هناك لكنه قبل ذلك لقي من بعض المشائخ بالمغرب.

1/ شيوخه في المغرب: لم تغدنا كثيراً كتب التراجم التي تحدثت عن الشيخ الزواوي بأسماء شيوخه في بلاد المغرب قبل رحيله إلى المشرق ومن الواردين أسمائهم:

عبد الله ابن الخراط: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد المعافري القلعي المعروف بابن الخراط وصفه الغبرني وقال: "أحد الثقات الأثبات الصلحاء الرواة"<sup>8</sup>، قرأ في بدايته في قلعة بني حماد على يد مجموعة من المشائخ منهم: أبو الحسن علي بن محمد بن عثمان التميمي والخطيب المقرئ

النحوي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز المعروف بابن عفراء وكذلك الفقيه الزاهد أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي المعروف بابن الترمح وغيرهم؛ وبعد ذلك انتقل ابن الخراط إلى بجاية واستوطنها وبها جلس للتدريس وولي الخطابة بجامع القصبة منها وانتفع الناس به.<sup>9</sup>

2/ شيوخه في المشرق:

1- إسماعيل بن مكّي بن عوف الزهري: يكنى بأبي طاهر هو الفقيه إسماعيل بن مكّي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الزهري الإسكندراني المالكي، صدر الإسلام في عصره تفقه على أبي بكر الطرطوشي وسمع منه ومن أبي عبد الله الرازي وبرع في المذهب؛ قصده السلطان صلاح الدين وسمع منه الموطأ؛ توفي في شعبان سنة 581هـ وله سنة وتسعون سنة.<sup>10</sup>

2- أبو سعيد بن جاره: هو القاضي مخلوف بن علي بن جاره المغربي الإسكندراني المالكي؛ أحد الأئمة الكبار روى عنه "المصابيح"<sup>11</sup> وكتب عدة إجازة وسماعاً، توفي سنة 583هـ.<sup>12</sup>

3- أبو القاسم بن القاسم بن فيرة الشاطبي: هو أبو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي الضري المقرئ ولد سنة 538هـ بشاطبة؛ كان أواحد في علم النحو واللغة، عارفاً بعلم الرقيا، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يفعل ويقول؛ قرأ القرآن العظيم بالروايات على ابن هذيل الأندلسي وسمع الحديث من ابن سعادة وغيره انتفع به خلق كثير وكان لا يجلس للإقراء إلا على طهارة في هيئة حسنة وتخشع واستكانة، وهو صاحب قصيدة "حز الأمانى ووجه التهاني" في القراءات أبدع فيها كل الإبداع، وكان يقول: لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا وينفعه الله عز وجل لأنني نظمتهما لله تعالى مخلصاً في ذلك. توفي الشاطبي في الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة 590هـ ودفن بترية القاضي الفاضل بالقرافة وقبره مشهور مزور.<sup>13</sup>

4- أبو عبد الله الحضرمي: هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو عبد الله الحضرمي المالكي قاضي الإسكندرية، روى عن محمد بن أحمد الرازي وغيره<sup>14</sup>، وقد روى عنه الشيخ الزواوي الشهاب أي "شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية" للقاضي والفقيه أبو زيد عبد الرحمن بن سلامة<sup>15</sup>، توفي أبو عبد الله الحضرمي سنة 589هـ.

5- أبو طاهر الأصبهاني: هو الحافظ أبو طاهر السلفي الأصبهاني السلمي حافظ مكثر من أهل أصفهان سمع من أبي عبد الله التفتي وآخرون حدّث بأصفهان وهو ابن سبع عشرة سنة، ثم رحل

إلى بغداد وهناك أدرك أبا الخطاب بن البطر وتفقه عنه، ثم حج وسمع بالحرمين، والكوفة، والبصرة، وهمدان، والشام، ومصر، وغيرها استوطن الإسكندرية بضعا وستين عاما مكيا على الاشتغال بالمطالعة والنسخ وتحصيل الكتب؛ وبني له الأمير العادل وزير الظاهر العبيدي مدرسة في الإسكندرية سنة 546هـ فأقام إلى أن توفي فيها يوم الجمعة خامس ربيع الآخر سنة 596هـ ومن آثاره: "معجم شيوخ بغداد" و"معجم السفر" وغيرها<sup>16</sup>.

كما أشارت المصادر إلى أسماء أخرى للشيخ الذين تتلمذ عليهم على غرار:

6- الإمام أحمد بن رجا اللخمي: يكنى بأبي طالب ويذكر الغزني أنه أخذ عنه الأصلين حفظا وإتقاناً<sup>17</sup>.

7- أبو عبد الله ابن بكرة الكركي: هو إمام قرأ عليه الشيخ الزواوي للذهب رواية ودرية<sup>18</sup>.

8- الزاهد أبو عبد الله المغاور<sup>19</sup>.

ومن خلال كلمة وآخرون التي ترددها المصادر التي أرخت له ندرك شدة حرصه على لقاء شيوخ العلم والاستكثار من الأخذ عنهم.

رابعا: أسلوبه في الدرس وتلاميذه: إن ما تمتع به الشيخ الفقيه أبي زكرياء يحي الزواوي من مؤهلات علمية قد هبأه للاضطلاع بمهمة التدريس ببجاية بعد رجوعه من المشرق، وحسبنا في ذلك ما ذكره الغزني بنص صريح حيث يقول: "استوطن ببجاية رحمه الله بعد رجوعه من المشرق، وجلس بها لنشر العلم وبثه والدعاء إلى الله تعالى فانتفع الخلق على يديه"<sup>20</sup>، وقد كان نشاطه العلمي حافلا بدروس الفقه وأصوله والتفسير والحديث والتذكير وكانت جموع الطلبة تقبل على الاستماع منه خاصة ما تعلق بدروسه في علم التذكير والتي كان يلقبها في الجامع الأعظم ببجاية بعد صلاة الجمعة<sup>21</sup>.

1/ أسلوبه في التدريس: إغتمد أبي زكرياء الزواوي أسلوب الترهيب والتخويف في الدعوة إلى الله؛ فكان حديثه يدور حول النار والأغلال والسعير وأهوال القيامة لحد أن قلوب الحاضرين تكاد تنفيس في مجلسه<sup>22</sup>، ويذكر أن أنا مدين شعيب قد عاب عليه هذا الأسلوب إذ قال له: "لا تقتط الناس وذكرهم بأنعم الله فقال له أبو زكرياء: لا أقدر إلا على هذا"<sup>23</sup>، ويأتي اختيار أبي زكرياء لهذا

المنهج الصوفي المتشدد بناء على التكرات المتفشية آنذاك في بجاية والتي لم يتحرك المجتمع البحائي ولا ولاية الموحدون للحد منها<sup>24</sup>.

2/ تلاميذه: رغم الإقبال الكثيف للطلبة على الشيخ أبي زكرياء الزواوي في مجالس الدرس إلا أننا لا نكاد نقف إلا على عدد محدود من أسماء هؤلاء ومنهم:

1- أحمد بن محمد المعافري القلعي: يكنى بأبي العباس هو أحمد بن محمد بن عبد الله المعافري تصفه المصادر بأنه الشيخ الفقيه المقرئ المتقن الأستاذ النحوي اللغوي المحصل المقدم نشأ بالقلعة وقرأ على أبيه وذلك في العقد التاسع من القرن السادس الهجري؛ ثم رحل إلى بجاية لاستكمال

الدراسة والتحصيل فأخذ على عدد من الشيوخ من بينهم الشيخ أبي زكرياء الزواوي، وتذكر المصادر أنه "كان ملازما له عاكفا عليه، وقارئا بين يديه"<sup>25</sup> تفرغ فيما بعد للتدريس في بجاية بجامعها الأعظم فاستفاد منه خلق كثير شهدوا له كلهم بالإتقان والجدوة؛ كما اشتهر بعدم تسامحه في منح الإجازات إلا لمن يستحقها ويقول الغزني بهذا الصدد "وكان لا يتسارع في إجازة بوجه، ولا يمكن منها إلا بعد التحصيل، ومن ظفر من الطلبة بإجازته فقد ظفر بالغاية القصوى، ووصل إلى المرتبة العليا وما أدركت من أدركت إلا وهم يفخرون بلاقائه والقراءة عليه" ومن آثاره "اختصار كتاب التفسير" لأبي عمرو الداني؛ توفي ببجاية<sup>26</sup>.

2- عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني: يكنى بأبي محمد من أصحاب الشيخ أبي زكرياء ومن قرأته؛ يعد من أهل العلم والفضل والوجاهة والنزاهة<sup>27</sup>.

3- هلال بن يونس بن علي الغبريني: يكنى بأبي نجم وهو الشيخ الفقيه الجليل العابد عرف بكثرة العبادة والدراسة والقراءة؛ من أصحاب الشيخ أبي زكرياء الزواوي ومن المقربين منه وكان ينوبه في صلاة الفريضة بالجامع الأعظم ببجاية<sup>28</sup>.

خامسا: حياته الصوفية: يعرف ابن خلدون التصوف بأنه علم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة واصله "هو العكوف عن العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"<sup>29</sup>.

يعتبر ابن الزيات التادلي أول من أئج للشيخ الزواوي من خلال كتابه التشوف إلى رجال التصوف وقد أكد لنا فيه بأن الزواوي أحد المتصوفة البارزين في عصره فقال: "كان عبدا صالحا

زاهدا ورعا شديد الخوف من الله تعالى، وكان إذا أهل هلال رجب انقطع في جبل "رجاجة"<sup>30</sup> إلى أن ينصرم شهر رمضان<sup>31</sup>؛ أما الغبريني فقد أجزم بخصوصه أنه لم يكن في بجاية من هو أجلد منه على الصيام والقيام<sup>32</sup>.

1/ زهده في المأكول والملبس والمسكن: تحلت شريحة الصوفية بخصائص ميزتها عن باقي الشرائع الاجتماعية الأخرى، من حيث تشققها في المأكول والملبس والمسكن، وزهدها في الحياة الدنيا برمتها، واتصافها بأخلاق إسلامية عالية وبوضعية اجتماعية بسيطة يعتمدون على أنفسهم في كسب قوتهم اليومي<sup>33</sup>، ويقتصرون على المرقعات واللباس الخشن من الشعر والصوف، وهذا ما نلمحه في حياة الفقيه الصوفي أبي زكرياء الزواوي؛ حيث وصفته المصادر التي ترجمت له بأنه كان زاهدا متقشفا في ملبسه إذ كان يرتدي الرداء والطيلسان؛ في حين اقتصر طعامه على البقول المباحة، وإذا اشتهى اللحم نزل إلى الساحل ليصطاد السمك بنفسه<sup>34</sup>.

وبخصوص المساكن التي يأوي إليها الصوفية فأغلبها الجبال والكهوف والأماكن الخالية والمغارات وغيرها، وكان أبو زكرياء الزواوي يتزوي في جبل رجاجة خارج بجاية يتعبد فيه دون انقطاع طيلة شهر رمضان.

2/ كراماته: تعد ظاهرة الأولياء والمتصوفة من الظواهر البارزة التي طبعت الحياة الاجتماعية في بجاية، فقد كان الوضع الاجتماعي المزري الذي كانت تعيشه الطبقة العامة من السكان أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت المجتمع البحائي يقبل على هؤلاء المتصوفة للتمسك بالدعاء منهم والتمسك بهم وبقبورهم؛ وكان الزواوي أحد الأولياء الزهاد المحاب الدعوة الكثير الكرامات، وحسبنا في ذلك ما ذكره الغبريني حيث يقول: "ما من ناحية من النواحي إلا وله فيها مسجد ومعلم وكلها معروف البركة وكراماته أكثر من أن تحصى ولو كتبت لكنت مجلدات وأحواله كلها كرامات"<sup>35</sup>؛ في حين ينفرد الورثيلاني في رحلته بسرد هذه الكرامات<sup>36</sup>.

التمسك بقبورهم: لم يكن في الناس بالتمسك بالأولياء والاعتقاد فيهم في حياتهم فقط وإنما استمر بعد مماتهم، وذلك من خلال زيارة قبورهم سعيًا للتقرب منهم والتسابق نحو الدفن بجوارهم لنيل بركاتهم، وقد كان قبر الزواوي أحد القبور التي كثر عليها الإقبال من طرف العامة؛ "أربعة قبور يستجاب

فيها الدعاء قبر معروف ببغداد، وقبر أبي مروان في بونة وقبر أبي زكرياء بجي الزواوي وقبر أبي مدين في تلمسان"<sup>37</sup>.

سادسا: آثاره العلمية: رغم المكانة العلمية التي حظي بها الشيخ أبي زكرياء بجي الزواوي لكن المصادر التي عنت بالترجمة له لم تصرح لنا بعناوين المؤلفات له لكن يبدو أنها ضائعة حيث لم يصل لنا منها إلا عنوانا واحدا؛ وهذا ما نلمحه في كتاب عنوان الدراية في سياق عرضه لإحدى الترجمات الخاصة بأحد أصحاب الشيخ الزواوي والمقرين منه، وهو الفقيه أبو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني حينما بعث به إلى أمير مراكش بالنبالة عنه حاملا معه إحدى مؤلفات الشيخ الزواوي والموسوم بـ "حجة الأيام وقدره الأنام"<sup>38</sup>، تصدى فيه بالرد على منذهب ابن حزم الظاهري الذي كان منتشر وقتئذ في بجاية.

سابعا: وفاته: توفي الشيخ الزواوي بعد صلاة العصر من يوم الجمعة<sup>39</sup> الرابع عشر من شهر رمضان المعظم من عام أحد عشر وستمائة<sup>40</sup>، ودفن يوم السبت وقت الضحى<sup>41</sup>.  
ثامنا: مظاهر التواصل الفكري بين القلعة وبجاية: لعل من أبرز صور التلاحق الفكري والتأثير العلمي بين هاتين الحاضرتين هو ما أسهم به أولئك الأعلام بعباءاتهم الفكرية في شتى فنون المعرفة وهذا ما دلت عليه كتب التراجم التي أرخت لهم ومن هؤلاء:

1- محمد بن علي بن الروامة القلعي: ولد بقلعة بني حماد وعاش بها روى عن أبي الفضل بن النحوي بالقلعة وتفقه به؛ ثم انتقل إلى بجاية وفيها أخذ عن أبي حفص التوزري وبعدها رحل إلى مدينة الجزائر وفيها أخذ عن أبي اسحاق إبراهيم بن حماد وخاله أبي الحسن علي بن طاهر محشوة<sup>42</sup>، بعدها رحل إلى الأندلس بقية الاستزادة وهناك التقى بالفيلسوف أبي الوليد بن رشد وابن طريف وأخذ عنهما العلوم إلى أن رجع إلى فاس وتولى بها القضاء؛ له مؤلفات عديدة منها كتاب "تسهيل المطلب في تحصيل المذهب" وكتاب "التفصي عن فوائد التفصي"، وله مؤلفه المشهور في عصره وهو "التبيين في شرح التلقي"، وهو كتاب في المذهب المالكي، وقد نال كتاب "التلقين" حظا وافرا من العناية في كل من القلعة وبجاية في القرن السابع الهجري توفي ابن الروامة سنة 567هـ.<sup>43</sup>

2- أبو علي حسن بن علي بن محمد المسيلي: هو الشيخ الفقيه الفاضل العالم العامل العابد المحقق المتقن المحصل المجتهد الإمام لقب بأبي حامد الصغير تشبيها له بأبي حامد الغزالي، وهو من أصحاب الولي الزاهد الشيخ أبي مدين التلمساني؛ عاش في صغره بالمسيلة والقلعة ثم رحل إلى بجاية واشتغل بالقضاء ثم عكف على التدريس؛ جمع بين العلم والعمل والورع وبين علمي الظاهر والباطن، وله مصنفات عديدة تشهد له بعلو كعبه في مجال التأليف وهي: "التذكرة في أصول الدين"، قال عنه الغبريني: وهو كتاب حسن طالعته وكررت النظر فيه فوأيته من أجل الموضوعات في هذا الفن، وله أيضا كتاب: "النبراس في الرد على منكر القياس"، وله كتاب في علم التذكير سماه "التفكير فيما يشتمل عليه السور والآيات من المبادئ والغايات" وفي هذا الكتاب سلك فيه مسلك أبي حامد في كتاب الإحياء (إحياء علوم الدين) ولهذا لقب بأبي حامد الصغير ويشهد الغبريني بأن "كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد، ودل كلامه فيه على إحاطته بعلم المعتول والمنقول وعلم الظاهر والباطن..."؛ معروف بالكرامات؛ توفي أبو علي المسيلي ببجاية سنة 580هـ ودفن بباب أميسون وقبره مزار يترك به <sup>44</sup>.

3- محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي القلعي: يكنى بأبي عبد الله قال عنه الغبريني "هو الشيخ الأجل الفقيه الرئيس الأكمل العالم الأوحد"؛ أصله من قرية تعرف بحمزة من حوز قلعة بني حماد نشأ وتعلم بها، وبعدها رحل إلى بجاية وهناك لقي العديد من الشيوخ منهم أبي مدين شبيب سمع منه كتاب "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى"، كما أخذ عن القاضي المحدث أبو محمد عبد الحق الأردني الإشبيلي وقد روى عنه للوطأ كما أخذ عن الإمام أبو علي المسيلي، والقاضي أبو تميم ميمون بن جبارة <sup>45</sup>، وأبو العباس ابن مبشر، وآخرون لقيهم بالجزائر وتلمسان وأخذ عنهم حتى صار متضلعا في مختلف العلوم منها علوم القرآن والحديث والأصول والنحو والأدب والتاريخ والرفائق والأذكار، وكان له في كل فن من هذه الفنون حظ وافر وعلم ماهر. من آثاره كتاب "الأعلام بفوائد الأحكام" وكتاب "شرح مقصورة ابن دريد"، وكتاب آخر سماه "النبد المحتاجة في أخبار صنهاجة بإفريقية وبجاية"؛ توفي سنة 628هـ <sup>46</sup>.

4- محمد بن محمد بن أبي بكر المنصور القلعي: يكنى بأبي عبد الله فقيه مالكي، له علم بالفرائض والحساب، أصله من القلعة ثم انتقل إلى بجاية واستقر بها، واشتغل بتدريس علم الحساب

الذي برع فيه؛ فكان الطلبة يشلون الرجال إليه ليس من بجاية فحسب؛ وأما من خارج البلاد أيضا للاستزادة منه والانتفاع بعلمه.

وبالإضافة إلى علمي الحساب والفرائض كان للشيخ أيضا نصيب في علوم أخرى وهي علم الوثائق والشروط كما كانت له عناية بالقضاء، أما وفاته فقد اختلف فيها بين 660هـ أو 665هـ <sup>47</sup>.

5- عبد الله بن محمد بن عمر بن عبادة القلعي: يكنى بأبي محمد؛ أصله من قلعة بني حماد، وهو من شيوخ الغبريني قال فيه: عالم مالكي، باحث مشارك أدركته يدوس بالجامع الأعظم بالعقادة بمجلس القضاء منه، وكان حافظا للخلاف العالي والمذهب المالكي، حسن النظر والتوجيه وحافظا للتاريخ؛ انتقل إلى بجاية وفيها أخذ عن مجموعة من المشايخ منهم الشيخ أبي زكريا اللقيني وأبي زيد الزيناسي وأبي العباس الملياني وغيرهم؛ توفي عام 669هـ <sup>48</sup>.

6- محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي: يكنى بأبي عبد الله، أصله من القلعة وكان جده قاضيا بها؛ انتقل إلى الجزائر ثم بجاية لطلب العلم؛ فتلقى على خيرة مشائخها وقتهائها ومنهم الشيخ أبو الحسن الحوالي والفقيه أبو الحسن بن أبي نصر والفقيه أبو بكر ابن محرز والفقيه أبو المطرف ابن عميرة وأبو زيد بن السطاح وغيرهم.

يذكر الغبريني أن الشيخ كان بارعا في علوم العربية، وأنه أحسن من أخذ عنه في هذا العلم، وفي ذلك يقول: "كان في علم العربية بارعا مقدما محكما لفنونها الثلاثة النحو واللغة والأدب، وكان له درس يحضره من الطلبة فضلائهم ونهائهم، وتجري فيه المناكرات المختلفة في التفسير والحديث وآيات الغريب وغيرها...، وكان قويا في علم التصريف، ومجبا في التعليل، وكان جاريا فيه على سنن أبي الفتح بن جني، وكان كثير التلامذة والأصحاب، وتقرأ عليه جميع الكتب النحوية واللغوية والأدبية، ويقوم على جميعها أحسن قيام، وهو أفضل من لقيت في علم العربية، لزمته عليه القراءة ما ينيف على عشرة أعوام، واستمعت به كثيرا واستفدت منه كثيرا" <sup>49</sup>؛ وصنف أبو عبد الله تأليف كثيرة في فن الأدب خاصة منها "الموضح في علم النحو" و"حديق العيون في تنقيح القانون" وكتاب "الإيضاح".

\* هذا الجدول يوضح لنا حركة التواصل الثقافي بين القلعة وبجاية خلال النصف الثاني من القرن السادس والقرن السابع الهجريين.

| الاسم كاملاً                            | تاريخ الولادة ومكانها | تاريخ الوفاة | الوظيفة والاختصاص                                                       | المسبقة                                                                                                                                  | رحلة                                                                                                   | تلاميذه                                                                           | مؤلفاته                       | المصدر                                                                                                                               |
|-----------------------------------------|-----------------------|--------------|-------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------------------------|-------------------------------|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|
| أبو زكرياء يحيى بن علي الزواوي          | بنو الحسن من بجاية    | ت 611هـ      | - زاهد<br>- فقيه<br>- محدث                                              | - ابن الخراط<br>- اسماعيل بن مكّي بن عوف الزهري<br>- أبو سعيد بن جارة<br>- أبو القاسم بن فيرة الشاطبي<br>- أبو عبد الله الحصري وآخرون... | - بجاية ثم القلعة ثم المشرق ثم إلى القلعة<br>- أبو محمد<br>ويها عبد الكريم<br>استقر<br>الواحد<br>الحسن | - أحمد بن محمد<br>- المعافري<br>- أبو محمد<br>- عبد الكريم بن عبد الواحد<br>الحسن | "حجة الأيام وقودة الأمان"     | عنوان الدراري: 61-62-63-<br>النسوف إلى النسوف: 428-429-<br>قفلة: 304-<br>رحلة الزواوي: 77-78-<br>80-81<br>شجرة النور الزكية: 184-185 |
| أبي العباس أحمد بن محمد المعافري القلعي | قلعة بني حماد         |              | - فقيه<br>- أستاذ في النحو واللغة (أبي زكرياء لا يتسامح في فتح الإجازة) | أبو عبد الله بن عبد الله (الدهلي) أبي زكرياء الزواوي                                                                                     | - القلعة ثم بجاية                                                                                      |                                                                                   |                               | عنوان الدراري: 148-149-<br>الحقنوي: 282-283                                                                                          |
| محمد بن علي بن الرعاة القلعي            | قلعة بني حماد         | ت 567هـ      | - فقيه<br>- قاضي                                                        | - أبي الفضل القلعي ثم السحوي<br>اسحاق إبراهيم الجزائري بن حماد<br>أبي الحسن الأندلسي                                                     | - أبي الفضل القلعي ثم بجاية ثم اسحاق إبراهيم الجزائري ثم بن حماد<br>أبي الحسن الأندلسي                 |                                                                                   | "تسهيل السطلب في تحصيل السند" | التكملة: 171                                                                                                                         |

|                                                                                                                                                                                 |                                                                                                                                 |                                                                                                                                                |                                                                                                                            |                        |                                                                                 |                                                                 |  |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------------------|---------------------------------------------------------------------------------|-----------------------------------------------------------------|--|
| عن فوائد<br>القاضي<br>"الشيخ في<br>شرح<br>التلخيص                                                                                                                               |                                                                                                                                 | علي بن طاهر بن<br>محشوة<br>- أبي الوليد بن<br>رشاد<br>- ابن حُرَيْف                                                                            |                                                                                                                            |                        |                                                                                 |                                                                 |  |
| "الذكر في<br>أصول<br>الدين"<br>المراس في<br>الرد على<br>مكرر<br>الوزيراني<br>القياس<br>"التكميل"<br>فيما يشتمل<br>عليه السور<br>والآيات من<br>السلف. 60<br>المبادئ<br>والغابات" | القلعة ثم<br>بجاية                                                                                                              |                                                                                                                                                | - فقيه<br>- عالم<br>- قاضي<br>- إمام<br>- مدرس<br>- متصوف                                                                  | ت 580هـ                | قلعة بني حماد                                                                   | أبو علي حسن<br>بن علي محمد<br>المصلي                            |  |
| عنوان الدراية<br>100-<br>102-101<br>شجرة النور<br>الوكية. 185<br>وفيات ابن<br>قفقذ. 309                                                                                         | عبد<br>الله محمد<br>بن عبد<br>الحق بن<br>سليمان<br>التمسلي.<br>"النبذة<br>المستحاجة<br>في أخبار<br>صنهاجة<br>بالرقبة<br>وصنهاجة | أبي مدين<br>شعب<br>- أبو محمد عبد<br>الحق الأزدي<br>الاشبيلي<br>- أبو علي<br>المصلي<br>- أبو تميم<br>يعقوب بن حجارة<br>- أبو العباس بن<br>ميشر | - فقيه<br>- عالم<br>- قاضي<br>- الأشبيلي<br>- أبو علي<br>المصلي<br>- أبو تميم<br>يعقوب بن حجارة<br>- أبو العباس بن<br>ميشر | ت 628هـ                | قلعة بني<br>حماد (548هـ)<br>بن حماد بن<br>عيسى بن أبي<br>بكر الصنهاجي<br>القلعي |                                                                 |  |
| عنوان الدراية<br>123.<br>تعريف<br>الخلف. 2<br>488                                                                                                                               | "نهاية<br>القرب"                                                                                                                | القلعة ثم<br>بجاية                                                                                                                             | - عالم<br>بالقرائن<br>والحساب<br>وعلم الوثائق<br>- كاتب                                                                    | ت 660هـ<br>أو<br>665هـ | قلعة بني حماد                                                                   | أبو عبد الله<br>محمد بن<br>محمد بن أبي<br>بكر المنصور<br>القلعي |  |

|               |               |        |                        |                    |                      |                     |    |                    |       |
|---------------|---------------|--------|------------------------|--------------------|----------------------|---------------------|----|--------------------|-------|
|               |               |        |                        |                    | - مدبرس<br>- فاضلي   |                     |    |                    |       |
| أبو محمد عبد  | قلعة بني حماد | ت669هـ | - عالم مالكي<br>- محدث | - أي<br>- اللغوي   | زكريا<br>يحيى        | القلعة ثم<br>العباس | أي | عنوان البداية      | 32-33 |
| الله بن محمد  |               |        | - فقيه<br>- مدبرس      | - أي<br>- اليوناني | زيد<br>العباس        | العربي              |    | شجرة المور         | 200   |
| بن عمر بن     |               |        |                        |                    |                      |                     |    | تعريف              | الخلف |
| عبادة القلعي  |               |        |                        |                    |                      |                     |    | 240                | 2     |
| أبو عبد الله  | قلعة بني حماد | ت673هـ | - فقيه<br>- أساذ في    | - أي<br>- الحرالي  | أبو الحسن<br>الحرالي | القلعة ثم<br>العباس | أي | - الموضح<br>في علم | 33-34 |
| محمد بن       |               |        | - النحو                |                    | ثم يحيى              | العربي              |    | النحو              | 35-36 |
| الحسن بن      |               |        | - شاعر                 |                    |                      |                     |    | شجرة المور         | 200   |
| علي بن ميمون  |               |        | - أدب                  |                    |                      |                     |    | العباس في          | 200   |
| القيسي القلعي |               |        | - تاريخ الخط           |                    |                      |                     |    | تعريف              | الخلف |
|               |               |        |                        |                    |                      |                     |    | القانون            | 2     |
|               |               |        |                        |                    |                      |                     |    | نشر                | 359   |
|               |               |        |                        |                    |                      |                     |    | الخفي في           |       |
|               |               |        |                        |                    |                      |                     |    | مشكلات             |       |
|               |               |        |                        |                    |                      |                     |    | أي علي             |       |
|               |               |        |                        |                    |                      |                     |    | "الإيضاح"          |       |

خاتمة: وفي الختام نستنتج أن هؤلاء العلماء ساهموا إيمًا مساهمة في نمو وازدهار النهضة الفكرية في مدينة بجاية خلال النصف الثاني من القرن السادس والقرن السابع الهجريين؛ وفي طليعة هؤلاء الشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي الذي كان له دورًا رائدًا ومتميزًا ليس في الجلب التعليمي فحسب من خلال الجلوس للتدريس وتكوين المريدين، وإنما كانت له جهود أخرى في المجال التربوي والحياة الاجتماعية من خلال الاهتمام بحالة العامة (الفقراء) ببجاية والسعي لمساعدتهم.

كما تتجسد هذه العلاقات أيضًا من خلال نخبة من العلماء على مختلف تخصصاتهم الذين انتقلوا من قلعة إلى بجاية وآثروا الاستقرار بها، فكانوا أكثر نفعًا من خلال جهودهم في ميدان التدريس والتأليف والقضاء والإمامة وغير ذلك من الوظائف الدينية والعلمية الأخرى؛ وبذلك

ساهموا في الازدهار الفكري والحضاري الذي شهدته هذه الحاضرة في هذه الفترة؛ وهو ما يعكس صور التلاحق والتفاعل الفكري بين هاتين الحاضرتين.

المواضع:

- 1- خلافت مفتاح: "إسهامات القلقين في الحياة الثقافية ببجاية"، ضمن أعمال الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ألف سنة من تأسيس جامعة المسيلة، 2007، ص. 497.
- 2- أنظر الغزوي: أي العباس أحد بن أحمد بن عبد الله (ت714هـ): عنوان البداية فيمن عرف من العلماء في المائة لساجدة ببجاية، تحقيق: محمد بن أي شيب، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص. 61. ابن مخلوف، محمد بن محمد: شجرة المور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ، ص. 184. (من خلال الترجمة التي أوردها ابن مخلوف لاحظ أنه أوردها ضمن علماء فارس). أنظر ابن الربيع التلمساني (ت617هـ): النشوق إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات جمعية أصناف الكتب، المغرب، (د.ت)، ص. 430 (ذكره التلمساني باسم يحيى بن علي الزواوي وذكر تحقيق الكتاب في الحاشية أن اسمه ورد في بعض النسخ المحفوظة يحيى بن أي علي وهو نفس الاسم الذي أورده الغزوي).
- 3- أنظر الحفاني، أي القاسم محمد بن الشيخ بن أي القاسم الديسي ابن سيدي إبراهيم الغول: تعريف الخلف رجال السلف، مطبعة بيز فونتان، الجزائر، 1906، ص. 290. الورباني، الحسن بن محمد (ت1779م): نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تعليق: ابن مهنا القسنطيني، للعلامة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، 79/1. الغزوي، للصدر السابق، ص. 62.
- 4- لغزوي، نفسه، ص. 61. الحفاني، نفسه، ص. 290. --- 5- لغزوي، نفسه، ص. 62.
- 6- ابن الربيع، للصدر السابق، ص. 430. ابن مخلوف، للصدر السابق، 184/4. الغزوي، للصدر السابق، ص. 62.
- 7- لغزوي، نفسه، ص. 62. الحفاني، نفسه، ص. 290. --- 8- لغزوي، نفسه، ص. 64.
- 9- نفسه، ص. 65. ابن مخلوف، للصدر السابق، ص. 186. عادل توبهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، منشورات مؤسسة توبهض للثقافة والتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1980، ص. 131-132.
- 10- ابن العباد الحفاني، شهاب الدين أي الفلاح عبد الحمي أحمد بن محمد العسكري التلمساني: شذرات اللب في أخبار من نعت، تحقيق: محمد الأرنؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1989، 267/4. --- 11- "المصباح" هو عنوان لكتب كثيرة منها: "مصباح لطيف" لعالم الاندلسي عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هادون السلمي الأندلسي لقرطبي المتوفى سنة 238هـ، و"مصباح السنة" لفقيه الحديث الحسن بن مسعود بن محمد القزاة المتوفى سنة 510هـ، و"المصباح في الحديث ورواياته" للشيخ الكبير محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المتوفى سنة 381هـ. --- 12- ابن العباد الحفاني، نفسه، 276/4. --- 13- أنظر ابن قنفذ، أي العباس أحد بن حسن بن علي الخطيب القسنطيني (ت810هـ): الوفيات، تحقيق: عادل توبهض، ط4، منشورات دار الآفاق، بيروت، 1983، ص. 294. (ذكر ابن قنفذ أن الشاطبي توفي سنة 589هـ في حين يقول ابن العباد بأنه توفي سنة 590هـ). ابن العباد الحفاني، 494/6-465.
- 14- ابن العباد الحفاني، نفسه، 454/6. --- 15- لغزوي، نفسه، ص. 64. --- 16- ابن العباد الحفاني، نفسه، 255/4.
- 17- لغزوي، نفسه، ص. 64. --- 18- نفسه، ص. 64. --- 19- نفسه، ص. 64. --- 20- نفسه، ص. 62. --- 21- نفسه، ص. 62. --- 22- نفسه، ص. 62. الشاذلي، نفسه، ص. 428-429. --- 23- الشاذلي، نفسه، ص. 428.
- 24- الشاذلي، نفسه، ص. 428. أنظر بوناني، الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6-7 الهجريين / 12-13 الميلاديين نشأته - تياراته - دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2004، ص. 107.
- 25- الحفاني، للصدر السابق، 282. لغزوي، نفسه، ص. 148. --- 26- لغزوي، نفسه، 148-149. الحفاني، نفسه، ص. 283. عادل توبهض، المرجع السابق، ص. 306. --- 27- لغزوي، نفسه، ص. 115. --- 28- نفسه، ص. 85-86.
- 29- أنظر ابن خلدون عبد الرحمن (ت808هـ): المقدمة، تحقيق: حجر عاصي، منشورات دار لكتاب الحلال، بيروت، 1991، ص. 295. --- 30- حبل "مراجعة" حسنا يورد في كتاب نزهة المشتاق في أحوال آفاق للإدريسي هو حبل يقع شمال غاية سلمي العلم صعب المرقى

- ص92. بينما الأستاذ الدكتور محمد حسان يرحح بأن المقصود هو جبل جرجرة وليس رجرجة. للملتقى الدولي حول الشيخ أبي زكريا الزواوي  
بيجايا يومي 7-8 أكتوبر 2015). --- 31- لثادلي، نفسه، ص428. --- 32- لغريبي، نفسه، ص62.  
33- بوناني، للرجع السابق، ص161. --- 34- لغريبي، نفسه، ص62. الحفناوي، نفسه، ص290. الورثياني، نفسه، ص78.  
35- لغريبي، نفسه، ص62. تعريف الكرامة: هي ما وقع للأولياء من المنصوفة من تصرفات أو حوادث فعلية خارقة للعادة.  
36- الورثياني، نفسه، ص78-79-80. --- 37- الحفناوي، نفسه، ص290. الورثياني، نفسه، ص77. --- 38- لغريبي، نفسه،  
ص115. --- 39- ينظر أهل المغرب في العصر الوسيط خاصة القرنين 6-7 للمحررين/ 12-13 الميلاديين إلى يوم الجمعة بنوع من القدسية،  
ويخبرون من مات فيه من علامات للجنة الحسنة وحسن الخاتمة، ومرد هذا الاعتقاد هو هيمنة الحركة الصوفية في هذه الفترة.  
40- لغريبي، نفسه، ص63. ابن قنفذ، الوفيات، ص304. الورثياني، نفسه، ص78. ابن مخلوف، نفسه، ص185.  
41- يميل أهل المغرب والأندلس إلى تأخير الدفن إلى يوم الوفاة انطلاقاً من القرن 4هـ/10م، ونعتقد أن هذا الأمر يرتبط أساساً بالعناية الكبيرة  
التي تعطي لتجهيز الميت وإعداده، وكذلك بالحرص على تجمع الناس وحضور أكبر عدد ممكن للموكب الجنائزي. أنظر حقي محمد: الموقف من  
الموت في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، مطبعة مانيبال، المغرب، 2007، ص78.  
42- أنظر ابن الأبار، أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر القضااعي البلسني: التكملة لكتاب الصلة، تعليق: الفريد بل وابن أبي شنب، مطبعة  
فونطانا، الجزائر، 1919، ص171. --- 43- لغريبي، نفسه، ص13. --- 44- لغريبي، نفسه، ص13-14-15-16-17-  
18. (الحفناوي أخذ الترجمة كاملة كما أوردها لغريبي، ص60). التبيكي، أحمد بابا (ت963هـ): نيل الابتهاج بتطريز الدياج، تقديم: حماد الله  
ولد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013، ص146. الورثياني، نفسه، ص81-82-83-84. --- 45- لغريبي، نفسه، ص  
100-101. --- 46- لغريبي، نفسه، ص101-102. ابن قنفذ، الوفيات، ص309. عادل نويهض، المرجع السابق، ص197. ---  
47- لغريبي، نفسه، ص123. الحفناوي، ص488. --- 48- لغريبي، نفسه، ص32-33. ابن مخلوف، نفسه، ص240/2. --- 49-  
لغريبي، نفسه، ص33-34. --- 50- لغريبي، نفسه، ص36. ابن مخلوف، ص200. الحفناوي، ص359.

**Abstract:** Béjaia was a cultural center in the Islamic Maghreb during the Middle Ages and a cultural interaction bridge. This is due to the efforts of many scientists and venerable scholars who had a vigorous scientific activity. They were delivering different lessons in various educational institutions that were spread all over the region. They also wrote works of a great scientific value which they had classified and filled the region's libraries with. Not surprising, the scientific movement between Béjaia and Beni Hammad Castle was very active. This could clearly be noticed as scholars where moving freely. Thus, they had played a leading role in enriching the aspects of civilisation in both cities. Besides, they contributed in the construction of the cultural scene as well as the intellectual landmarks.

**Key words:** Béjaia, Beni Hammad, culture, civilization, Islamic Maghreb, Middle Ages, scholars.